الرسالة

(أعمال الرسل ١٦: ١٦-٣٤)

في تلك الأيام فيما نحن الرسلَ منطلقون إلى الصلاةِ استقبلتنا جارية بها روحُ عرافَة. وكانت تُكسِبُ مَواليها كسباً جزيلاً بعِرافتها* فطفقت تمشي في إثرِ بولسَ وإثرنا وتصيح قائلةً هؤلاء الرجالُ هِم عبيد الله العليِّ وهم يبشرونكم بطريق الخلاص* وصنعت ذلك أياماً كثيرةً فتضجَّر بولسُ والتفت إلى الروح وقال إنّي آمرك باسم يسوع المسيح أن تخرجَ منها. فخرج في تلك الساعة* فلمَّا رأى مواليها أنَّه قد خرج رجاءُ مكسبهم قبضوا على بولسَ وسيلا وجرُّوهما إلى السوق عند الحكَّام* وقدَّموهما إلى الوُلاة قائلين إنَّ هذين الرجلَين يبلبلان مدينتَنا وهما يهوديَّان* وينادِيان بعاداتٍ لا يجوزُ لنا قَبولها ولا العملُ بها إذ نحن رومانيُّون* فقام عليهما الجمعُ معاً ومزَّق الولاةُ ثيابهما وأمروا أن يُضربا بالعِصيِّ* ولَما أثخنوهما بالجراح ألقوهما في السجن وأوصَوا السجَّانَ بأن يحرسهما بضبطٍ* وهو إذ أوصيَ بمثل تلك الوصيَّة ألقاهما في السجن الداخلي وضبط أرجلهما في المِقطَرَة* وعند نصف الليل كان بولسُ وسيلا يصلّيان ويسبّحان الله والمحبوسون

عمى القلب

تخصّص كنيستنا المقدّسة الأحد الخامس بعد الفصح لذكرى حادثة شفاء الأعمى الواردة في الإنجيل بحسب يوحنّا (يو ٩: ١-٣٨). تضعنا الكنيسة، من خلال هذه الحادثة، أمام عدّة خيارات علينا أن نقرّر أيًّا منها نختار: هل نأخذ موقف الفرّيسيّين الذين يحاربون الربّ يسوع؟ أم موقف أهل الأعمى الذين ظلّوا على الحياد خوفًا من اليهود؟ أم نقف موقف الأعمى الذي اعترف بالربّ يسوع وسجد له على أنّه نور العالم؟ (٩: ٥، ٣٥-٣٨).

تستوقفنا عدّة عناصر في هذا المقطع، سنذكر بعضها، ونلقي الضوء على أحدها. يلفتنا في حادثة شفاء الأعمى هذه، وهو ما يميّزها عن تلك الواردة في الأناجيل الأُخرى (مر ١٠: ٤٦-٥٣؛ مت ٩: ٢٧-٣١؛ لو ١٨: ٣٥-٤٣)، أنّ الربّ يسوع بادر إلى شفاء الأعمى من دون أن يطلب هذا الأخير الشفاء. يعزو الربّ ذلك إلى أنّ عليه أن يعمل أعمال مَن أرسله ما دام نهار (٩: ٤). الأعمى لم يكن لديه موقف، بل أطاع أمر الربّ يسوع «على العمياني»، مثلما نقول في العاميّة، فذهب واغتسل في بركة سلوام (٩: ٧)، من دون أن يعرف حتّى مَن أمرَه بذلك، إلاّ أنّه علم من آخرين أنّ الذي شفاه يُدعى يسوع (٩: ١١). أيضًا، أخذ الفرّيسيّون موقفًا مسبقًا من الربّ يسوع، وقرّروا إخراج كلّ مَن يعترف بأنّ يسوع هو المسيح من المجمع (٩: ٢٢). كذلك، تلفتنا مبادرة الربّ يسوع نحو الأعمى الذي شفاه، حين واجهه وسأله عن موقفه منه (٩: ٣٥-٣٨). غير أنّ ما يثير التساؤل هو الوارد على لسان الربّ يسوع بعد هذه الحادثة، والمذكور في آخر الإصحاح التاسع: «فقال يسوع: لدينونة أتيتُ أنا إلى هذا العالم حتّى يبصر الذين لا يبصرون ويعمى الذين يبصرون» (٩: ٣٩)، مشيرًا بذلك إلى الفرّيسيّين الذين يعتبرون أنفسهم مبصرين، لأنّهم يعرفون الشريعة (٩: ٤٠-٤١).

في المقطع الأخير، يفهم القارئ أنّ هدف مجيء الربّ هو أن يجعل العميان يبصرون وأن يُعمي مَن يُبصر. غير أنّ القارئ، إذا تمعّن في

العدد ٢٠١٩/٢٢

الأحد ٢ حزيران

أحد الأعمى

تذكار أبينا الجليل في القديسين نيكيفوروس المعترف

اللحن الخامس

إنجيل السَحَر الثامن

قراءة المقطع، يدرك أنّ مَن يلقى هذا المصير هو الذي يعتبر نفسه مبصرًا، وتاليًا يكون قد وضع نفسه تحت قضاء الربّ يسوع: «قال لهم يسوع لو كنتم عميانًا لما كانت لكم خطيئة، ولكن الآن تقولون إنّنا نبصر فخطيئتكم باقية» (٩: ٤١).

لهذا، لا بدّ من الإشارة إلى موقف الفرّيسيّين في حادثة الأعمى هذه، حتّى لا نقع نحن أيضًا في الموقف نفسه. الخطر هو أنّ الفرّيسيّين ينطلقون من نيّة حسنة. إنّهم يعرفون الشريعة حقّ المعرفة، ومِن مهامهم دراستها وشرحها وجعلها حاضرة في الحياة اليوميّة. يجعلهم هذا الأمر من المقرّبين إلى الله، إذ يعرفون مشيئته، أو بالحريّ يجب أن يعرفوها. غير أنّ الإنسان قد يقع أحيانًا في خطأ جسيم، هو أن يرى الأمور من منظاره الخاصّ، وليس من منظار الله، الأمر الذي قد يدفعه إلى وضع شرائع خاصّة به، ينسبها إلى الله. هذا ما وقع فيه الفرّيسيّون، فوضعوا فرائض وعلّموا معتقدات لم تأتِ الشريعة على ذكرها، ناسبين ذلك إلى تقليد شفهيّ على لسان موسى النبيّ.

حال الفرّيسيّين هذه هي حال كلّ مَن يعتبر نفسه مقرّبًا من الله، فيقع في خطيئة الكبرياء، وتُسمّى حالُه «عمى القلب». في هذه الحال يعرف الإنسان وصايا الله ويحاول تطبيقها، لكنّه يطبّقها كما يراها هو، من دون أن يترك مجالاً لله في تحقيق مشيئته. يقرّر، من تلقاء نفسه، ما هي مشيئة الله، لا بل يفرض مشيئته على مشيئة الله. أكثر من ذلك، نجده يضع نفسه مكان الله، وينظر إلى الأمور من منظاره الخاصّ، فيؤدّي به ذلك إلى احتقار الآخرين. لقد عبّر الربّ يسوع عن هذه الحال في مَثَل الفرّيسيّ والعشار (لو ١٨: ٩–١٤)، حيث أدّت معرفة الفرّيسيّ للشريعة إلى إغلاق قلبه عن محبّة الآخر. إعتبر أنّه يطبّق وصايا الله، لكنّه وضع نفسه مكان الله وأخذ يحكم على الآخرين من منظاره هو، فأُصيبَ بعمى القلب.

في حادثة شفاء الأعمى، كان سبب موقف الفرّيسيّين السلبيّ تجاه الذين يعترفون بأنّ الربّ يسوع هو المسيح، أنّ الربّ شفى الأعمى يومَ سبت. الله أمر شعبَه ألاّ يعمل أحدٌ شيئًا البتّة يوم السبت (خر ٣١: ١٢–١٧)، لكي ينصرفوا إلى سماع كلمة الله في المجمع حتّى يحفظوها ويعملوا بها. لكنّهم لم يدركوا أنّ هذه الوصيّة تُطبّق على الشعب وليس على الله. تصلُّبُهم في «تطبيق الوصيّة» أدّى إلى عمى قلوبهم، وعلى الرغم من أنّ لهم عيونًا، إلاّ أنّهم لم يستطيعوا رؤية عمل الله، لم يستطيعوا رؤية الله. لقد غاب عن ذهنهم أنّ المنطلق هو القلب، المحبّة، فأدّى بهم الأمر إلى إغلاق عيونهم عن أقوال الله نفسه: «يا بنيّ أعطني قلبك ولتلاحظ عيناك طرقي» (أم ٢٣: ٢٦).

القدّيس يوستينوس بوبوفيتش

وُلِدَ البار يوستينوس يوم عيد البشارة من العام ١٨٩٤، في قرية صغيرة جنوب صربيا، لأبَوين ورعَين تقيَّين، يتحدّران من سبعة أجيال من الكهنة («بوبوفيتش» تعني بالصربية: «ابن الكاهن»). سمّاه أبواه «بلاغوجه» أي يسمعونهما* فحدثت بغتةً زلزلةٌ عظيمةٌ حتى تزعزعت أُسس السجن. فانفتحت في الحال الأبوابُ كلُّها وانفكت قيود الجميع* فلمَّا استيقظ السجّان ورأى أبواب السجن أنها مفتوحة استلَّ السيف وهمَّ أن يقتل نفسه لِظنِّه أنَّ المحبوسين قد هربوا* فناداه بولسُ بصوتٍ عالٍ قائلاً لا تَعمل بنفسك سوءاً فإنَّا جميعنا ههنا* فطلب مصباحاً ووثب إلى داخل وخرَّ لبولسَ وسيلا وهو مرتعدٌ* ثمَّ خرج بهما وقال يا سيِّديَّ ماذا ينبغي لي أن أصنع لكي أخلصَ* فقالا آمن بالربِّ يسوع المسيح فتخلصَ أنت وأهلُ بيتك* وكلَّماه هو وجميع مَن في بيته بكلمة الرب* فأخذهما في تلك الساعةِ من الليل وغسل جراحهما واعتمد منَ وقته هو وذووه أجمعون* ثمَّ أصعدهما إلى بيته وقدَّم لهما مائدةً وابتهج مع جميع أهل بيته إذ كان قد آمن بالله.

الإنجيل

(يوحنا ٩: ١–٣٨)

في ذلك الزمان فيما يسوع مجتازٌ رأى إنساناً أعمى منذُ مولده* فسأله تلاميذُه قائلين يا ربُّ من أخطأ أهذا أم أبواه حتى وُلد أعمى* أجاب يسوعُ لا هذا أخطأ ولا أبواهُ. لكن لتظهرَ أعمالُ الله فيه* ينبغي لي أن أعمل أعمالَ الذي أرسلني ما دام نهارٌ. يأتي ليلٌ حين لا يستطيع أحدٌ أن يعمل* ما دمت في العالم فأنا نورُ العالم* قال هذا وتفل على الأرض وصنع من تفلته طيناً وطلى بالطين عيني الاعمى* وقال له اذهب واغتسل في بركة سلوامَ

(الذي تفسيُره المرسَل). فمضى واغتسل وعاد بصيرًا* فالجيران والذين كانوا يرونه من قبلُ أنَّه كان أعمى قالوا أليس هذا هو الذي كان يجلِسُ ويستعطي. فقال بعضهم هذا هو* وآخرون قالوا إنَّه يشبهه. وأمَّا هو فكان يقول إنّي أنا هو* فقالوا له كيف انفَتحتْ عيناك* أجاب ذاك وقال إنسانٌ يقالُ له يسوعُ صنع طينًا وطلى عينيَّ وقال لي اذهب إلى بركةِ سلوامَ واغتسل. فمضيتُ واغتسلتُ فأبصَرْتُ* فقالوا له أين ذاك. فقال لا أعلمُ* فأتوا به أي بالذي كان قبلًا أعمى إلى الفريسيين* وكان حين صنع يسوعُ الطينَ وفتح عينيه يومُ سبت* فسألَهُ الفريسيون أيضاً كيف أبصر. فقال لهم جعل على عينيَّ طينًا ثمَّ اغتسلتُ فأنا الآن أبصِرُ* فقال قومٌ من الفريسيين هذا الإنسانُ ليس من الله لأنَّه لا يحفظ السبتَ. آخرون قالوا كيف يقدِر إنسانٌ خاطئٌ أن يعمل مثلَ هذه الآيات. فوقع بينهم شِقاقٌ* فقالوا أيضًا للأعمى ماذا تقولُ أنت عنه من حيث إنَّه فتح عينيك. فقال إنَّه نبيٌّ* ولم يصدِّقِ اليهود عنه أنّه كان أعمىَ فأبصر حتى دعوا أبوي الذي أبصر* وسألوهما قائلَين أهذا هو ابنُكما الذي تقولان إنَّه وُلد أعمى. فكيف أبصرَ الآن* أجابهم أبواهُ وقالا نحن نعلمُ أنَّ هذا وَلدُنا وأنَّه وُلد أعمى* وأمَّا كيف أبصر الآن فلا نعلم أو من فتح عينيهِ فنحن لا نعلم. هو كاملُ السنّ فاسألوه فهو يتكلّم عن نفسه* قال أبواهُ هذا لأنَّهما كانا يخافان من

«بشارة». أحبَّ، منذ صغره، مطالعة الكُتُب المقدّسة، ويُذكَر أنّه كان يحمل معه العهد الجديد أينما ذهب، فيقرأ منه ثلاثة إصحاحات يوميًّا. عام ١٩٠٥، ألحقه والداه بمعهد القدّيس سابا الإكليريكيّ في بلغراد، حيث أتّم، مع بداية الحرب العالميّة الأولى، برنامج الإكليريكيّة الدراسيّ. تجدر الإشارة إلى أنّ المعهد المذكور كان، في أوائل القرن العشرين، مشهورًا، على مدى العالم الأرثوذكسيّ، كواحة قداسة ونسك، من دون إغفال المستوى التعليميّ الرفيع. هناك تتلمذ قدّيسنا على أساتذة تميّزوا، ليس بوفرة العلوم فحسب، بل أيضًا، وعلى الأخصّ، بالصرامة في التزام الإيمان القويم والدفاع عنه، وقد استشهد منهم اثنان أو ثلاثة فيما بعد، أبرزهم كان الأب المتوحّد (القدّيس) نيقولاي فيليميروفيتش الذي نُعَيّد له في ١٨ آذار، الذي كان صاحب التأثير الأكبر في حياة البار يوستينوس.

بُعَيد اندلاع الحرب العالميّة الأولى، تطوّع الشاب «بشارة» بصفة تلميذ ممرّض ليخدم، خصوصًا، على جبهات جنوب صربيا، ومنها «كوسوفو»، مُشاركًا الجيش الصربيّ المآسي، لا سيّما «درب الجلجلة» التي سقط فيها للصرب مئة ألف جنديّ. تجدر الإشارة إلى أنّ اشتهاء الحياة الرهبانيّة اشتعل فيه مذ كان في معهد القدّيس سابا، لكنّ اندلاع الحرب أخّره. حقّق الشابّ، في ١ كانون الثاني ١٩١٦، رغبته في الإنضمام، كمبتدئ، إلى رهبنة كاتدرائيّة «سكادار»، حيث سُمّي على اسم القدّيس الشهيد يوستينوس الفيلسوف.

بعد تصييره راهبًا بفترة وجيزة، سافر يوستينوس مع مجموعة من إخوته الرهبان إلى «بتروغراد» في روسيا لمتابعة سنة دراسيّة في معهدها الإكليريكيّ. هناك تعمّق الراهب الشابّ، بالدراسة والعمل، في كلّ نواحي الإيمان القويم وتقاليد الحياة الرهبانيّة، خصوصًا من خلال سيَر كبار النسّاك القدّيسين الروس وتعاليمهم، أمثال أنطونيوس وثيوذوسيوس الكييفي وسيرجيوس رادونيج وسيرافيم ساروفسكي ويوحنّا كرونشتادت وغيرهم. إثر انتهاء سنته الدراسيّة في بتروغراد، سافر الراهب يوستينوس إلى إنكلترا ليلتحق بالكلّيّة اللاهوتيّة في أوكسفورد بتشجيع من معلّمه الكبير الأب نيقولاي فيليميروفيتش. تابع هناك برنامج الدكتوراه، لكنّ أطروحته «الفلسفة والدِّين لدى فيودور دوستويفسكي» رُفِضَت. إثر ذلك، بقي في أوكسفورد بضع سنوات تولّى خلالها نشر المجلّة الأرثوذكسيّة «الحياة المسيحيّة»، الأمر الذي لم يَرُق لجماعة جامعة أوكسفورد الذين ضيَّقوا عليه، فغادر عائدًا إلى بلغراد حيث أقام لفترة وجيزة، عاد بعدها فانتقل إلى «معهد اللاهوت الأرثوذكسيّ» في أثينا. هناك، نال قدّيسنا، سنة ١٩٢٦، شهادة الدكتوراه بامتياز على أطروحته البالغة العمق «إشكاليّة الشخصيّة والإدراك بحسب القدّيس مكاريوس المصريّ».

خلال إقامته في أثينا، سيم شمّاسًا، وبُعَيدَ نواله الدكتوراه، عاد إلى بلغراد حيث سيم كاهنًا. يروي معاصرون له أنّه بكى كالطفل خلال سيامته كاهنًا، وأنّ

وجهه التمع بإشراق سماويّ. ما إن صار كاهنًا، حتّى شرع في ترجمة النصوص اللّيتورجيّة إلى اللّغة الصربيّة الحديثة لكي تصبح سهلة الفهم. كذلك الأمر بالنسبة إلى «سِيَر القدّيسين» التي كان قد شرع بتجميعها من عدّة مصادر قبلًا. هذا إضافةً إلى عدد من الأعمال والعظات الآبائيّة للقدّيسين يوحنّا الذهبيّ الفم ومكاريوس المصريّ وإسحق السريانيّ وسواهم. ذاعت شهرة الأب يوستينوس بسبب عظاته وكتاباته وإرشاداته الروحيّة التي صارت تُتناقَل في كلّ صربيا. لأجل هذه المواهب، ومعها قدراته التنظيميّة اللافتة، أرسلته الكنيسة الصربيّة إلى تشيكوسلوفاكيا سنة ١٩٣١ ليعيد تنظيم الكنيسة هناك (كانت تابعة للكنيسة الصربيّة)، التي كانت منهكة بالتعاليم الضالة. سريعًا، أدرك الراعي الجديد عطش الشعب إلى الإيمان القويم وتألّمه من الضياع، فبدأ، سنة ١٩٣٢، بإعداد ثلاثيّته الشهيرة «عقائد الكنيسة الأرثوذكسيّة» حتى أنجزها، ومعها بضعة كتب أخرى، مع أواخر الحرب العالميّة الثانية.

بسبب عمق معرفته اللاهوتيّة، والقوّة في مواعظه ودفاعاته عن الإيمان، منعه النظام الشيوعيّ الذي كان قد صار حاكمًا، من العمل الجامعيّ في بادئ الأمر، ثمّ من التعليم عمومًا، فصار الأب يوستينوس يتنقّل في الإقامة بين الأديرة المتنوّعة في صربيا. سنة ١٩٤٨، إستقرّ في دير رئيسي الملائكة ميخائيل وجبرائيل في «شيليتجه» غرب صربيا، حيث رُفّع إلى رتبة أرشمندريت، وانتخبه الرهبان أبًا روحيًّا للدير. هناك، ما لبث أن ذاع صيته في البلاد اليوغوسلافيّة ومحيطها حتّى اليونان، كأبٍ روحيٍّ قدّيس، وكعمود للإيمان صلبٍ ومنير، فتقاطر إليه المؤمنون من كلّ تلك البلدان. يوم عيد البشارة سنة ١٩٧٩، في عيد ميلاده الـ ٨٥، رقد البار يوستينوس في الربّ. تعيّد له كنيستنا المقدّسة في ١ حزيران.

زيارة بطريرك صربيا

بين ١ و٧ حزيران ٢٠١٩ يقوم غبطة البطريرك إيريناوس، بطريرك الكنيسة الأرثوذكسية في صربيا، بزيارة سلامية لبطريركية انطاكية وسائر المشرق.

في إطار هذه الزيارة سوف يصل غبطته إلى أبرشيتنا في بيروت صباح يوم الخميس في ٦ حزيران. وبعد لقاءات رسمية سوف تُقام صلاة الشكر، عند الساعة الخامسة من بعد ظهر الخميس ٦ حزيران ٢٠١٩، في كنيسة القديس نيقولاوس في الأشرفية، يليها استقبال رسمي وشعبي حاشد في صالون الكنيسة.

لذا، إظهاراً للحفاوة والمحبة المسيحيَّتين، ندعوكم للمشاركة في الصلاة ثم الاستقبال، آملين أن نعبّر للضيف الكريم عن فرحنا بزيارته.

للإطلاع على أخبار الأبرشية:

www.facebook.com/metbei

اليهود لأنَّ اليهود كانوا قد تعاهدوا أنَّه إن اعترف أحدٌ بأنَّه المسيحُ يُخرَجُ من المجمع* فلذلك قال أبواه هو كاملُ السنِّ فاسألوهُ* فدعوا ثانيةً الإنسانَ الذي كان أعمى وقالوا له أعطِ مجدًا لله. فإنّا نعلم أنَّ هذا الإنسان خاطئٌ* فأجاب ذاك وقال: أخاطئٌ هو لا أعلمُ. إنَّما أعلم شيئاً واحداً أني كنت أعمى والآن أنا أُبصِرُ* فقالوا له أيضًا ماذا صنع بك. كيف فتح عينيك* أجابهم قد أخبرتكم فلم تسمعوا. فماذا تريدون أن تسمعوا أيضًا. ألعلّكم أنتم أيضًا تريدون أن تصيروا له تلاميذ* فشتموه وقالوا له أنت تلميذ ذاك. فأمَّا نحن فإنَّا تلاميذُ موسى* ونحن نعلم أنَّ الله قد كلَّم موسى* فأمَّا هذا فلا نعلم من أين هو* أجاب الرجلُ وقال لهم إنَّ في هذا عجبًا أنَّكم ما تعلمون من أين هو وقد فتح عينيَّ* ونحن نعلم أنَّ الله لا يسمعُ للخطأة. ولكن إذا أحدٌ اتَّقى الله وعمِل مشيئتَه فله يستجيب* منذ الدهر لم يُسمَع أنَّ أحداً فتح عيني مولودٍ أعمى* فلو لم يكن هذا من الله لم يقدر أن يفعل شيئًا* أجابوه وقالوا له إنَّك في الخطايا قد وُلِدتَ بجملتِك. أفأنت تعلمنا. فأخرجوه خارجًا* وسمع يسوعُ أنَّهم أخرجوه خارجًا. فوجده وقال له أتؤمنُ أنت بابنِ الله فأجاب ذاك وقال فمنَ هو يا سيّدُ لأؤمن به* فقال له يسوع قد رأيته والذي يتكلَّمُ معك هو هو* فقال له قد آمنت يا ربُّ وسجد له.